المحاضرة الخامسة: مصادر البيانات الثابتة

تمهيد: تتسم الدراسات السكانية بحاجتها الماسة لتوفر تدفق دائم و دوري للبيانات الخاصة بالسكان، بشكل يتماشى مع حجم التغيرات التّي تشهدها المجموعات السكانية، سواء ما تعلق منها بالمواطن الأصلي للأفراد، مستواهم السوسيو-اقتصادي والثقافي، مكان الإقامة، حالتهم الزواجية، عدد أفراد الأسرة.....إلخ، حيث تتوقف نجاعة و مصداقية كل التحاليل و القراءة التشخيصية وعملية التنبؤ بعد ذلك، على مدى مصداقية ما هو متاح لديها من بيانات، هذه الأخيرة التّي تتباين مصادر الحصول عليها بتباين المجتمعات، حيث يسجل التاريخ في هذا الصدد عديد المحاولات التّي أجريت من أجل الحصول على البيانات السكانية، الأمر الذي يجرنا إلى طرح التساؤل التالي: من أين يأتي عالم السكان ببياناته و معلوماته عن سكان المجتمع؟

أولاً: المصادر الأساسية:

1- المصادر الثابتة: تهتم مصادر البيانات الثابتة بدراسة التركيب السكاني و توزعه عبر إقليم ما ضمن آجال زمنية محددة، مستخدمة في تحقيق ذلك: التعداد السكاني و طريقة المسح بالعينة[1].

أ/ التعداد السكاني: يعتبر من أهم مصادر الحصول على البيانات السكانية، نظير ما يتميز من سمات و أهمية كبيرة، و التّي جعلته المصدر الأكثر استخداما بين باقي المصادر الأخرى.

1- مفهوم و سمات التعداد السكاني: يعرف التعداد السكاني بأنّه مجموع العمليات الخاصة بجمع و تصنيف و نشر البيانات الديمغرافية، الاقتصادية و الاجتماعية الخاصة في وقت معين بجميع الأفراد في إقليم معين[2]. في حين يعرفه المكتب الإحصائي للأمم المتحدة بأنّه:" العملية الكلية لجمع و تجهيز و تقويم و تحليل البيانات الديمغرافية و الاقتصادية و الاجتماعية المتعلقة بكل الأفراد في قطر أو جزء محدد المعالم من قطر و في زمن معين"[3].

1- فتحي محمد أبو عيانة، دراسات في علم السكان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2000، ص15.

2- يونس حمادي علي، مبادئ علم الديمغرافيا، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2010،ص77.

3- فتحي محمد أبو عيانة، مرجع سابق، ص16.

و تبقى مصداقية التعداد السكاني حسب الكثير من المختصين بهذا الشأن، رهينة بمدى توفره على مجموعة من الاشتراطات الموضوعية، و التّي تخدم الغايات الأساسية التّي ترمي إليها، و التّي تتلخص في السمات الخمسة التالية:

- **الشمول:** و يعني وجوب اشتمال كل شخص في الإقليم دون تجاوز أو تكرار، كما يجب أن يغطي التعداد جميع البلاد التابعة لدولة ما، و عند تعذر تحقيق مثل هذه الحالة المثالية لبعض الأسباب القاهرة، فإنّه يتعين عندئذ وصف نوع التغطية بصورة مفصلة في مطبوعات التعداد.

- **التعداد الانفرادي:** و ذلك عبر تسجيل البيانات المتعلقة بكل فرد في الأسرة على حدا، إلى جانب خصائصهم المميزة سواء الاجتماعية منها أو الديمغرافية أو الاقتصادية.....

- **التزامن:** و يقصد به ضرورة أن تسبب جميع حقائق التعداد إلى فترة زمنية محددة كاليوم الواحد و الأسبوع.....إلخ. و كلما طالت الفترة الزمنية للتعداد زاد احتمال وقوع الحذف أو التكرار في تدوين البيانات.

- **التجميع:** أي تجميع و تبويب و نشر البيانات للأقاليم الجغرافية، و المتغيرات الديمغرافية و الاقتصادية و الاجتماعية المختلفة، دون إحداث تغير جوهري في تصنيف الأقاليم الجغرافية بين تعداد و آخر، لأنّ ذلك يشوه صورة المشهد و يجعلها غير قابلة للمقارنة حسب المكان و الزمان.

- **الدورية المحددة:** يجب إجراء التعدادات السكانية خلال فترات زمنية منتظمة بين تعداد و آخر، بمعنى أن يكون التعاقب زمني بين كل تعداد و آخر ثابت (في الغالب يتراوح ما بين 05-10سنوات)، و ذلك من أجل توفير بيانات قابلة للمقارنة، حيث أنّ سلسلة زمنية من التعدادات تجعل من السهل تقويم الماضي، و وصف الحاضر و تقدير المستقبل[4]. و تختلف الدول في هذا الصدد في كيفية تنظيم تعداداتها السكانية، فالبعض منها تجري تعداداها كل خمس سنوات مثل: كندا، اليابان، الدانمارك، السويد، و البعض الآخر تجريه كل 10 سنوات مثلما هو الحال بالنسبة لكل من: الولايات المتحدة الأمريكية، المملكة المتحدة، النمسا،

4- يونس حمادي علي، مرجع سابق، ص 78.

المكسيك، مصر، الجزائر....و فريق ثالث ليست الفترات التعدادية محددة عنده بدقة، فقد تكون أحياناً 10 سنوات أو حتّى 20 سنة مثل: البرازيل، أو ست أو سبع سنوات كفرنسا و بعض البلدان الأخرى[5].

2- أهمية التعداد السكاني: يفيد التعداد السكاني في تعيين الالتزامات العسكرية و الضريبية و العملية للأفراد في المجتمع، ثم التعرّف على عوامل كالهجرة، الخصوبة و الخصائص الاقتصادية و محددات الأمن الاجتماعي التّي تصاحب عملية التنمية الاجتماعية و الاقتصادية في المجتمع، لاسيما توفير المعطيات حول الخصائص الهامة للسكان التّي تحتاجها الحكومات و المصالح و التعليم و هيئات البحث و جمهور المواطنين لرسم الخطط العلمية و مواجهة المشاكل الحياتية[6].

3- أنواع التعداد السكاني و طرق تنفيذه: تتمايز أنواع التعداد السكاني إلى صنفين رئيسيين و هما التعداد الفعلي و التعداد الحقيقي، كما تتمايز طرق تنفيذه إلى صنفين آخرين كذلك، و هما طريقة المقابلة المباشرة و طريقة الحصر الذاتي، و اللذين سنأتي على تبيان تفاصيل كل منهما فيما هو آتي.

أ• التعداد الفعلي: و يقوم على تدوين جميع الأشخاص الحاضرين في مساكنهم أو أماكن المعيشة الأخرى يوم إجراء التعداد. و في هذا النوع من الحصر تطرح إشكالية عد الأشخاص المسافرين، أو ممن يعملون في الليل في يوم التعداد، و تبعا لذلك سوف لا يكونون موجودين في أي من الأماكن التّي يعيش فيها النّاس اعتياديا، الأمر الذي يستدعي عد الأشخاص في القطارات أو البواخر أو الفنادق، أو مطالبة أرباب الأسر بإدخال هؤلاء الأشخاص في استمارة التعداد إلى جانب الأشخاص الحاضرين فعلا[7]. و لذلك لجأت العديد من الدول التّي تنتهج هذا الخيار إلى سن إجراءات خاصة، تقوم على منع التنقل و الطلب من السكان البقاء في بيوتهم

5- فتحي محمد أبو عيانة، مرجع سابق، ص17.

6- فراس البياتي، مورفولوجيا السكان، موضوعات في الديمغرافيا، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2009، ص37.

7- يونس حمادي علي، مرجع سابق، ص 84.

فـي يـوم التعـداد حتّـى الإعـلان عـن نهايتـه، بغـرض حصـر السـكان فـي أمـاكن تواجـدهم لتسـهيل عملية التعداد[8].

ب• التعــداد الحقيقــي: و يقـوم علـى أسـاس فكـرة رجـوع كـل شـخص أحصـي فـي غيـر موطنـه الأصـلي إلـى المكـان الـذي يسـكنه عـادة، و ذلـك بتسـجيل جميـع الأفـراد الـذين يعيشـون اعتياديـا فـي نفـس الـدار فـي اسـتمارات التعـداد، بضـمهم الحاضـرين و الغـائبين مؤقتـا عـن الـدار أو الأسـرة، مـع اسـتبعاد الزائـرين اللـذين لـديهم إقامـة اعتيـادي فـي مكـان آخـر مـن التسـجيل مـع حصـرهم فـي مكـان إقـامتهم الاعتيـادي، و لـذلك يجـب اتخـاذ مجموعـة مـن الإجـراءات الاحتياطيـة فـي هـذا الصـدد، و ذلـك لحصـر الأشـخاص البعيـدين عـن دورهـم إذا كـانوا مـن المحتمـل أن لا احـد فـي مـوطنهم الاعتيـادي سـيخبر عـنهم. و ذلـك بتسـجيل الأفـراد الغـائبين فـي اسـتمارات خاصـة معـدة لهـذا الغـرض، و مـن ثمـة تسـليمها إلـى دائـرة التعـداد التابعـة لمحـل إقـامتهم[9]. و هـذا النـوع مـن الإجـراءات معقـد و يبقـى احتمـال الخطـأ وارد فيـه، مـن خـلال عـدم تسـجيل بعـض الأشـخاص و تسجيل آخرين مرتين.

4- الطـرق المتبعـة فـي إجـراء التعـدادات السـكانية: تخضـع عمليـة إجـراء أي تعـداد سـكاني لأحـد الطريقتين التاليتين، و هما:

أ• طريقــة المقابلــة المباشــرة: ويقـوم فيـه العـون المكلـف بجمـع المعلومـات، بزيـارة الأسـرة ومقابلـة كـل عضـو علـى إنفـراد، وتسـجيل الإفـادات التـي يـدلي بهـا فـي اسـتمارة التعـداد و يمكـن لـرب الأسـرة أن يدلي بالمعلومات

نيابـة بالمعلومـات عـن بعـض أفرادهـا، الـذين قـد يتعـذر علـيهم إعطـاء معلومـات دقيقـة بسـبب جهلهم أو لصغر سنهم[10].

8- عماد مطير الشمري، الجغرافيا السكانية : أسس و تطبيقات، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2012، ص22.

9- يونس حمادي علي، مرجع سابق، ص 79.

10- يونس حمادي علي، مرجع سابق، ص 79.

ب• طريقة الحصر الذاتي أو الأسري: وتتمثل في تولي كل رب أسرة أو أحد أعضائها، مهمة تدوين المعلومات الخاصة بأسرته على استمارة واحدة، يتم توزيعها عليهم من قبل الأعوان المكلفين بالعد ثم عودتهم لاحقا لجمعها، فهي بذلك تعطي المبحوثين وقتا أطول للإدلاء بمعلوماتهم، مع إمكانية الرجوع إلى السجلات عند الاقتضاء، و بالتالي انحصار مهمة الأعوان في هذه الحالة على تدقيق البيانات بعد استلام الاستمارات، و بالتالي إمكانية طلب معلومات إضافية عند الحاجة[11].

5- عيوب التعداد السكاني: رغم الأهمية التّي يحضى بها التعداد السكاني في مجال توفير البيانات بشتى أشكالها، و أثر كل ذلك في مجال إعداد السياسات التنموية المختلفة، إلاّ أنّه لا يخلو من جملة من العيوب التّي تحيط به من مصداقية بياناته، و هذه العيوب يمكن تقسيمها إلى نوعين:

أ• عيوب محلية: و التّي من جملتها نذكر مايلي:

- استمارات التعداد بعد ملئها كثيرا ما يكون فيها إجابات متناقضة، لاسيما فيما يتعلق أعمار الأشخاص و خاصة النّساء و كبار السن.

- الكثير من الأقطار لا تنشر نتائج التعداد السكاني بها إلاّ بعد مرور مدة طويلة، و ذلك بسبب التكاليف المالية المعتبرة التّي تتكبدها في كل مرة.

- تلعب الأحداث السياسية سواء ذات الطابع المحلي أو الدولي، دورا سلبيا أيضا في إخفاق التعدادات السكانية و ابتعادها عن أغراضها الحقيقية، حيث قد لا تمس التعدادات جميع الأفراد المعنيين بها بنفس الطريقة و بنفس الدّقة، و ذلك إما بفعل الاضطرابات الداخلية الناشبة في بعض الأقاليم أو التدخلات السياسية الفوقية، و التّي كثيراً ما تؤثر في إجرائه و دقة معلوماته[12].

ب• عيوب على المستوى الخارجي: و تتعلق بدقة نتائج النمو السكاني فوق سطح الكرة الأرضية، حيث تقدر نسبة الأخطاء المسجلة في هذا الصدد بعشرات الملايين، و ذلك بسبب:

11- يونس حمادي علي، مرجع سابق، ص 79.

12- فتحي محمد أبو عيانة، مرجع سابق، ص18.

- الاختلاف الواضح في إجراء التعدادات السكانية بين مختلف دول العالم، فكل دولة تختار لنفسها يوما خاصا بها و دورة معينة، و هذا يؤدي في النهاية إلى عدم إمكانية معرفة عدد السكان و أحوالهم خلال نفس الفترة في عدد كبير من الدول.

- طريقة أخذ التعداد تختلف أحيانا من دولة إلى أخرى، فبعض الدول ك: بريطانيا أو مصر تنتهج طريقة العد الفعلي، و البعض الآخر ك: الجزائر، سويسرا، هولندا، الولايات المتحدة الأمريكية تأخذ بطريقة العد الحقيقي، كما أنّ هناك دول أخرى تأخذ بالطريقتين معا كما هو الحال بالنسبة للبرازيل.

- لا تختلف دول العالم في دورية التعداد بها، و لا في طريقة أخذها فحسب، بل أنّها تختلف حتّى في تقسيم السكان حسب التركيب العمري أيضا، فالفئة العمرية الخمسية هي الغالبة في معظم التعدادات في العالم، و لكن هناك من الدول من تتبع الفئات العمرية العشرية و خاصة في الأعمار الوسطى و الكبرى[13].

ب/ المسح بالعينة: ويعتبر الطريقة الثانية في مصادر البيانات الثابتة، و هو الذي يستمد جزء هام من مقوماته و خصائصه من طريقة المسح الشامل، مع احتفاظه ببعض الفوارق التّي تصنع تميزه عنها، كما سنراه في التفصيل اللاحق.

1- مفهوم المسح بالعينة: و هي طريقة استنتاجية، يجري العمل بها على نطاق واسع في مجال البحوث السكانية، من قبل الدوائر الرسمية أو غير الرسمية، و تقوم على التعميم الذي يسمح بالانتقال من الجزء إلى الكل، و ذلك انطلاقا من مبدأ عملها و الذي يقوم على استخدام العينات المعبرة عن التمثيل السكاني الحقيقي من أجل الحصول على بيانات قد تشمل سكان منطقة معينة أو دولة ككل، و تبيان بعض أو كل الخصائص السكانية فيها فهي تستهدف إذن الوصول إلى أقصى درجات الدّقة، في كل ما يتعلق بأحوال السكان، و طبائعهم و طرائق

13- فتحي محمد أبو عيانة، مرجع سابق، ص19.

معيشتهم و أوضاعهم.....مع الاقتصاد في الموارد البشرية و المادية و البدنية، و التّي يتم بدلها عادة في عمليات الحصر الشامل[14].

2- مجالات استخدام المسح بالعينة: يتم استخدام المسوح بالعينة إما بالطريقة مستقلة، و ذلك من أجل الوقوف على بعض الأحوال السكانية لمجتمع منعزل، لم يتعرض لعمليات تسجيل الدورية بشكل منتظم. كما يمكن استخدامه كأداة مكملة للتعدادات السكانية، حيث أصبحت اليوم العديد من الدول تمزج ما بين أجراء التعداد و المسح بالعينة، و ذلك في سبيل الحصول على بيانات توضح كل أو بعض خصائص السكان ، سواء على المستوى القومي أو المحلي، و التي يصعب أحيانا تحصيلها من التعداد مباشرة خشية عدم دقتها، مما يلزم اختيار عينة من السكان و توجيه مجموعة من الأسئلة الإضافية إلى أفرادها، كما هو الحال في التعدادات الانجليزية أو الأمريكية[15].

3- طريقة العمل بالعينة: تقتضي طريقة العمل بالعينة ضرورة الحرص على التقيد بمجموعة الخطوات الإجرائية، و التي من شأنها أن تضمن سلامة الوصول:

أ- تصميم استمارة استبيان

ب- تصميم العينة: وذلك من أجل ضمان الوصول إلى نتائج يمكن تطبيقها على المجتمع السكاني بأكمله، و ذلك من خلال الحرص على ضرورة مراعاة سحب العينة وفقا لقواعد محددة و مضبوطة بدقة، يتفادى من خلالها القائمون على إعداد هذه المسوح الوقوع في أخطاء التحيز، و هو ما من شأنه أن يتيح الحصول على عينة ممثلة لإجمالي سكان المجتمع، تكون بدايتها ب:

- تقسيم كل إقليم إلى أقاليم فرعية.
- اختيار مناطق من تلك الأقاليم الفرعية.
- حصر جميع المساكن الموجودة في تلك المناطق المذكورة.

14- عماد مطير الشمري، الجغرافيا السكانية: أسس و تطبيقات، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2012، ص17.

15- فتحي محمد أبو عيانة، مرجع سابق، ص21.

- اختيار عينة من بين تلك المساكن ليجري على سكانها البحث.
- تعميم النتائج المحصل عليها لتشمل الإقليم و الدولة بأكملها[16].

16- عماد مطير الشمري، مرجع سابق، ص 17.